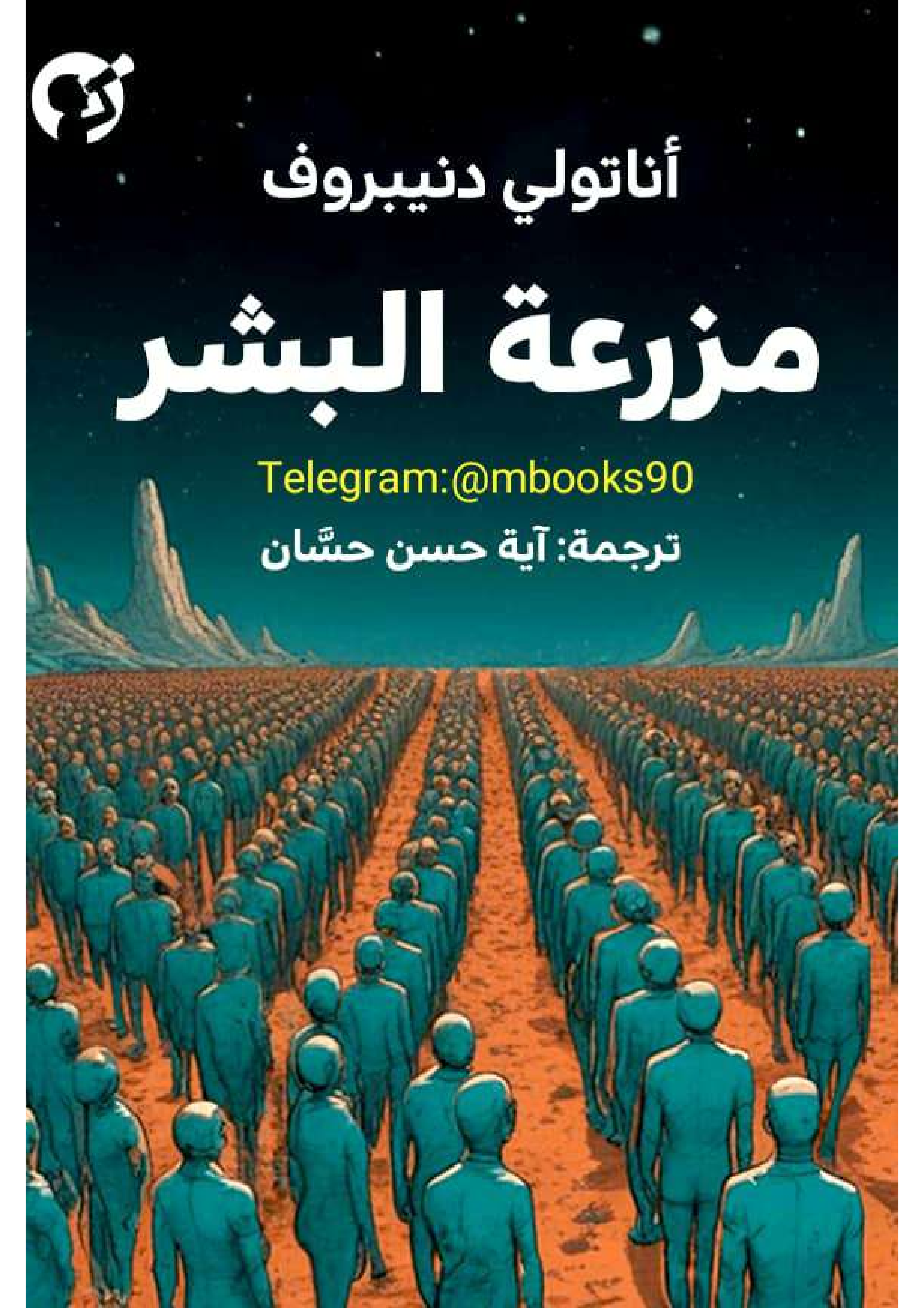

أناتولي دنيبروف
مزرعة البشر
Telegram:@mbooks90
ترجمة: آية حسن حسَّان

أناتولي دنيبروف

مزرعة البشر

ترجمتها عن الروسية

آية حسن حسّان



منشورات ويلز

«أعتقد أن هناك إمكانية لتخليق فرد كامل من خلية واحدة، مأخوذة (على سبيل المثال) من جلد الإنسان. إن القيام بذلك سيكون عملًا فذًّا في الهندسة البيولوجية يستحق التقدير».

«أ. تورينج»

«هل تستطيع الآلة أن تفكر؟».

***

جلس على حافة مقعد في الحديقة، وحذاؤه المتهالك يدهس بعصبية الأرض الرطبة. وفي يده عصا غليظة معقودة. عندما جلستُ بجانبه، أدار وجهه تجاهي بتثاقل. كانت عيناه حمراوين، كما لو كانتا مملوءتين بالدموع، وشفتاه رفيعتان كالهلال.

نظر إليَّ، ثم سحب الرجل العجوز قبعته على عينيه، وبدأ يضرب الأرض بكعب حذائه. أزمعت الانتقال إلى مقعد آخر، لكنه قال فجأة:

- لا، لماذا؟ اجلس!

بقيت في مكاني.

سألني الرجل العجوز:

- هل معك ساعة؟ كم الساعة؟

- الرابعة إلا ربع.

أخذ نفسًا عميقًا ونظر ناحية المبنى باهت اللون لنادي «سبيري» للرقص خلف الهياكل العظمية لأشجار الخريف.

تجمد مؤقتًا، وتنهد عدة مرات، ثم رفع قبعته فوق حاجبيه.

- كم الوقت الآن؟

- الرابعة إلا دقيقة. هل تنتظر أحدًا؟

أدار وجهه ذا الملامح الحزينة نحوي وأومأ برأسه. ويبدو أن اللقاء المنتظر لا ينذر بخير.

اقترب الرجل العجوز مني وتنحنح:

- كل شيء على ما يرام تمامًا. مثلما حدث قبل خمسين عامًا...

أدركت أن ثمة ذكريات تعذبه.

قلت بشكل غامض:

- نعم، لكن كل شيء يمر.. لا يمكن فعل أي شيء حيال ذلك.

اقترب أكثر. أظهر الفم الحزين ما يشبه الابتسامة الساخرة.

- أنت تقول إنْ كل شيء يسير على ما يرام؟ لكن هذا ليس صحيحًا!

فهمت:

- حسنًا، بالطبع، الذكريات تبقى. إذا جاز التعبير، ذكرى الماضي. الذاكرة هي رفيقتنا الدائمة والمزعجة...

- فقط لو كان الأمر كذلك!

وبعد برهة، سألني الرجل العجوز مرة أخرى عن الساعة، ثم قال:

- ساعة أخرى...

- ماذا؟

ولوّح بيده بشكل غامض. ثم قال فجأة بلا مقدمات:

- منطق الأفكار ومنطق الحياة ليس بينهما أي شيء مشترك.

أيقظتني جملته، لأن المنطق كان هو الشيء المفضل لديّ. بمجرد أن يقول شخص

ما كلمة «منطق»، فإنني أنتبه على الفور.

- أنت مخطئ في هذا! منطق الفكر هو انعكاس لمنطق الحياة.

- هل تعتقد ذلك؟

- بالتأكيد.

- كم عمرك؟

- تسعة وعشرون.

«أعتقد أن الدرس سيبدأ الآن».



وبدلًا من «الدرس» قال الرجل العجوز:

- إنهما في العمر نفسه تقريبًا.

- مَن؟

سعل.

سألت مرة أخرى:

- مَن هما؟

- إنهما... ولدايَ...

- هل تنتظرهما؟

- نعم... إذا أردت سأحكي لك قصة صغيرة... ما زال أمامي ساعة كاملة أخرى... سأحاول إقناعك بتغيير رأيك...

فكرت: «رجل عجوز غريب!».

- بالطبع، سوف تعتقد أن قصتي هراء. لكنك ستقتنع! هل تفهم شيئًا في «العلم»؟

الآن جاء دوري لأبتسم بسخرية:

- أنا حاصل على بكالوريوس في العلوم.

- هناك أمل أن تفهم إذن.

قلت:

- حسنًا، دعنا نسمع قصتك.

قلتها من دون أن أخفي سخريتي. بالطبع سأسمع الآن بعض الهراء الذي لا معنى له؛ الرجل العجوز ثرثار فقط، مثل كثيرين في مثل عمره.

سألني محاوري:

- هل تساءلت يومًا: لماذا يوجد مثل هذا الارتباك والفوضى في عالمنا؟

وتابع من دون انتظار الإجابة:

- يُفسَّر الاضطراب والفوضى بحقيقة أن أفراد المجتمع مختلفون. يختلف الناس في كل شيء؛ في جنسهم، ومظهرهم، وطولهم، وأعمارهم، وطريقة تفكيرهم... يعيشون في منازل مختلفة ويأكلون أطعمة مختلفة، يحبون أشياء مختلفة ويقرءون كتبًا مختلفة. لا يوجد شخصان في العالم متطابقين تمامًا بأي شكل من الأشكال. حتى عندما يقولان إنهما يحبان الشيء نفسه، فإنهما يختلفان في ذلك الحب، لأنه، على سبيل المثال، لكل فرد تصوره الخاص لكلمة «شجرة». وينطبق هذا على أي كلمة يتحدث بها مجموعة أشخاص لهم اللغة نفسها. حتى أبسط الكلمات، مثل «نعم» أو «لا»، يفهمها الأشخاص بشكل مختلف...

حاولت الاعتراض:

- هناك ما لا أفهمه.

- لا تفهمه؟ حسنًا، إليك مثال بسيط. أسألك: هل هو الخريف الآن؟ أنت بالطبع ستجيبني بـ«نعم». وسأجيبك أنا أيضًا بـ«نعم» عن هذا السؤال، وأي شخص عادي سيجيب بـ«نعم». لكن كل ملايين الـ«نعم» هذه ستكون مختلفة. بعد كل شيء، بعد أن قلت هذه الكلمة، فإنك تلصق بها عالمًا كاملًا من التجارب والصور والذكريات...

بالنسبة لك، «الخريف» شيء، بالنسبة لي شيء آخر!

- آسف، ولكنك تُعقِّد السؤال. نقول ذلك بالمعنى المنطقي الشكلي...

حاول أن يضحك:

- آه، «المنطق الشكلي»! هل هناك معنى شكلي منطقي للشخص؟ أنت، بالطبع، تعرف أمثلة من التاريخ عن دول انتهكت معاهدات مختومة بالأختام والتوقيعات الشكلية. وتبيَّن أن السبب هو أن كلا الطرفين فهما كلمات الوثيقة نفسها بشكل مختلف. وهذا من معاني المنطقي الشكلي! كما ترى لا يستطيع الناس أن يفكروا بطريقة المنطق الشكلي. الآلات فقط هي التي يمكنها فعل ذلك، وحتى في هذه الحالة ليس دائمًا...

اعترضت:

- لكن هناك علم «المنطق الشكلي»؟

- حسنًا، فليكن. أنت لا تعرف أبدًا ما العلوم الموجودة! الآن أنا لا أتحدث عن العلوم، التي هي تبسيط للواقع، ولكن عن أكثر الأشياء تعقيدًا: عن الإنسان... بالنسبة له لا يوجد منطق شكلي. وهذه هي المأساة كلها. تخيل مجتمعًا حيث يتحدث عشرات الملايين من الناس اللغة نفسها، ومع ذلك فإنهم لا يفهمون بعضهم بعضًا أكثر من حفنة من الأجانب. وحتى عندما يتظاهرون بأنهم يفهمون بعضهم بعضًا، يكون ذلك كذبًا...

قررت ألا أجادل مُحاوري، على الرغم من أنني يمكن أن أُذكر ألف مثال يدحض حججه. لكنني شعرت أن هذا لم يكن أهم شيء في قصته.

- دعنا نقُل إنك على حق. وهناك اضطراب في عالمنا وفقًا لمنطقك. كيف نحل تلك المشكلة؟

- هذا ما أريده. الطبيعة نفسها تعطينا أمثلة مذهلة لكيفية بناء أنظمة مستدامة تتكون من العناصر نفسها. هل تساءلت يومًا: لماذا تكون أي قطعة حديد ثابتة، لا

تتفكك، لا تتفتت؟

- لا، لم أفكر في ذلك.

قلت لنفسي: «يبدو أنه مصاب بـ«الفصام»».

- كما ترى، نحن لا نستطيع النظر بكثب وعمق إلى الأشياء العادية. نحن ببساطة نقبلها كما هي ونعُدها أمرًا طبيعيًا. وأنا أزعم أن الحديد، وبشكل عام، كل ما هو كثيف ومستقر، يرجع ثباته إلى أنه يتكون من أجزاء متطابقة تمامًا، من الذرات نفسها... أو على الأقل الجزيئات نفسها. لهذا السبب فإن ذرات الكربون والذهب والحديد هي نفسها في جميع أنحاء الكون. وهذه الذرات، المتطابقة في جميع أنحاء الكون اللانهائي، تتجمع معًا وتُشكّل بنية متجانسة. متجانسة ومستقرة في جميع أجزائها. لكن بمجرد تسلُّل عناصر غريبة إلى هذه الكتلة، ستتفكك وتفقد صلابتها.

اقترحت مثالًا بشكل مفاجئ:

- صدأ الحديد!

- صحيح تمامًا، والأمثلة كثيرة...

- نعم، ولكن...

صاح العجوز:

- ليس هناك «لكن». الإنسان هو ذرة المجتمع. الفرق هو أن البشر مختلفون جوهريًا، بينما ذرات العناصر نفسها متطابقة جوهريًا.

- اسمع، لا يمكنك تطبيق قوانين الطبيعة والكيمياء على حياة البشر! وقد ثبت هذا مرتين اثنتين.

اعترض الرجل العجوز بعناد:

- لكن في رأيي هذا ممكن.

ولم أعترض، رغم وجود الكثير من الاعتراضات.

- إذا أردنا بناء مجتمع مثالي، فيجب علينا أولًا أن نفكر في الهوية المثالية لذراته!

نظرت إلى الرجل العجوز بحذر. وفي الشفق الكثيف، بدا لي وجهه أكثر حزنًا.

- رأيك الخاص...

- نعم نعم أيها الشاب. علينا أن نبدأ بتوحيد ذرات المجتمع، بتوحيد الأشخاص...

- ولكن هذا هراء وغباء!

- نعم نعم! في زماني كان هناك أيضًا أشخاص يكررون الشيء نفسه. لكن في سياق تطور الحضارة نفسها هناك قوى تؤدي إلى حد ما إلى توحيد الناس، ولو بشكل جزئي...

- هذا لم يحدث ولن يحدث أبدًا!

- أنت ببساطة لا تفهم! بالمناسبة، كم الساعة؟

- إننا نتحدث من خمس عشرة دقيقة.

- جيد. هل تقول إن ذلك لن يحدث أبدًا؟ وهناك ألف شخص يعملون على الآلات نفسها ويقومون بالعمليات نفسها، أليس هذا عنصرًا من عناصر «التوحيد»؟

ارتجفت قليلًا من الرطوبة. «أين ذهب الرجل العجوز بتفكيره؟».

- يجب أن يسعى المجتمع تلقائيًا إلى تحقيق حالة من الاستقرار، ويجب عليه في النهاية أن يصل إلى توحيد الأشخاص... ولكن كم سنة ستمر قبل أن تتطابق الهويات الكاملة للأشخاص؟ الآلاف، وربما مئات الآلاف... الكثير! لا يمكننا أن ننتظر العصر الذهبي للتوحيد والتطابق الكامل. حتى إنني أعتقد أحيانًا أن هذا لن يحدث أبدًا. لذا علينا الاهتمام به الآن.

- تقصد من خلال التربية العادية...

- أوه، هذا غير مؤثر! لا يكفي على الإطلاق! حتى مع التنشئة المتماثلة، لن تحصل

على الأشخاص أنفسهم. إنهم يختلفون منذ ولادتهم في ميولهم وقدراتهم ومواهبهم.

- إذن ماذا يجب أن نفعل؟

فرك الرجل العجوز كفيه بعجرفة. وكأنما يسخر مني. نظر مرة أخرى إلى الحواف المظلمة لمبنى «سبيري» للرقص، وسأل بهدوء:

- هل سمعت اسم «فوركمان» من قبل؟

- نعم، كان عالِم كيمياء حيوية معروفًا في عصره...

- بالضبط. ماذا تعرف عنه أيضًا؟

- ربما لا شيء أكثر.

- أنا تلميذه. هل تعرف ما الاكتشاف الذي توصل إليه البروفيسور «فوركمان»؟

- لا، لا أعرف...

- استطاع تخليق بشر بالغين من خلية واحدة مأخوذة من جلد الإنسان!

قررت: «لقد بدأ في الهذيان مرة أخرى، الأمر هكذا دائمًا مع مرضى «الفصام»».

- وماذا في ذلك؟

- هذا هو مفتاح حل مشكلة «التطابق»!

- لا أفهم.

- تخيل أزيلت مائة خلية من جلدك، وخلِّقت مائة خلية متماثلة باستخدام طريقة البروفيسور «فوركمان». إنها، بناءً على المعلومات الجينية نفسها، ستكون متطابقة تمامًا مع بعضها بعضًا ومطابقة لك.

ارتجفت: «يا لها من خطوة!».

ثم سألت بفضول:



- هل قام أحد بمثل هذه التجربة؟

- نعم.

- مَن؟

- أنا.

صمتُّ لبضع ثوانٍ، ثم سألت:

- وماذا حدث؟

- يجب أن أُخبِرك كل شيء بالترتيب.

- هذا مشوق جدًّا!

- نقل «فوركمان» سر اكتشافه إليّ فقط. لقد نسيت الأمر تقريبًا حتى توصلت إلى استنتاج مفاده أنّ التطابق ضروري.

- مَن الذي اتخذته نموذجًا؟

- آه، أنا وزوجتي مررنا على كثير من معارفنا وناقشناهم في كل جانب، لكن اتضح أنهم مليئون بالعيوب... كما تعلم كل واحد يملك نوعًا من العيوب الخلقية جسدية أو عقلية أو أخلاقية. نعم، لقد كان قرارًا مؤلمًا للغاية، لكننا في النهاية اخترنا أنفسنا.

ابتسمت لا إراديًّا. لاحظ الرجل العجوز هذا.

- لا تضحك... أنا و«آرتشي» في شبابنا كنا أفرادًا غير عاديين، ذكاؤنا فوق المتوسط، لم يكن مظهرنا سيئًا على الإطلاق! وبعد أن وصلنا إلى مرحلة البلوغ، اكتشفنا أن لدينا ما يكفي من الحكمة لصنع مجتمع موحد...

قاطعت مُحاوري:

- ليس لديّ شك في ميزاتك، لكن ماذا فعلت في النهاية؟

- ربينا ولدين وفتاتين على طريقة «فوركمان»... لقد كانوا نسخًا طبق الأصل منّا

في السن المناسبة. لقد قمنا أنا و«آرتشي» بتجربة تربية نظرائنا الشباب في مزرعة «جرين بول».

- أليس هذا عددًا قليلًا جدًّا من النسخ البشرية لا يكفي لخلق الطبيعة المتجانسة لمجتمعنا المستقبلي؟

- لا تسخر مني أيها الشاب! عليك أن تسأل لماذا نشأ الأطفال في مزرعة «جرين بول».

- هل هذا مهم؟

- طبعًا. الحقيقة هي أنه في هذه المزرعة أمضينا أنا و«آرتشي» طفولتنا وصبانا ومراهقتنا.

- ثم ماذا حدث؟

- الحقيقة أن التنشئة المتطابقة كانت ضرورية للغاية لهوية هذه الكائنات. تذكرت أنا و«آرتشي» السنوات التي قضيناها في هذه المزرعة جيدًا. وقررنا إعادتها بدقة على أطفالنا.

- لماذا؟

- كان هناك سببان لذلك: أولاً، يمكننا بسهولة إعادة إنتاج الدورة التربوية بأكملها، وثانيًا، بهذه الطريقة ضمنا تكرار تجربتنا في المستقبل.

بدأت أتخيل بشكل غامض وحشية الخطة.

- تريد أن تقول إنه من خلال تكرار مسار حياتك في تلك الكائنات، ستضمن أنهم في لحظة معينة سيصلون إلى الاستنتاجات نفسها التي توصلت إليها، وسوف يقومون أيضًا بتكرار تجربة تخليق نسخهم، وسوف يكرر أولادهم وأحفادهم الشيء نفسه، وهلم جرًّا؟

- أنت ذكي.

صرخت:

- هذا لا يمكن!

- هذا بالضبط ما حدث.

- يا إلهي!

- تحلَّ بالصبر حتى تسمع كل شيء حتى النهاية. اعتنيت بالولدين، واعتنت «آرتشي» بالفتاتين. يجب أن أعترف أن عملنا سبَّب لنا متعة حقيقية. كما تعلم، قرأت ذات مرة لعالِم درس مسار حياة العديد من التوائم. واكتشف أن التوائم المتماثلة ليست متشابهة في المظهر فحسب، بل إن مسارات حياتهم ومصائرهم متماثلة إلى حد كبير. أتذكَّر أنه ضرب مثالًا بشقيقين توءمين انفصلا في مرحلة الطفولة المبكرة، وبعد سنوات عديدة اتضح أنهما متزوجان من امرأتين متشابهتين بشكل لافت للنظر، وكانا يعملان في المهنة نفسها، وكلاهما لديه نفس نوع الكلب، وكلا الكلبين يرتديان طوقًا بالاسم نفسه! لم أصدق ذلك حينها. خلال فترة عملي في «جرين بول»، رأيت بنفسي أن الهوية الجينية للأطفال تجعل من الممكن تحقيق هويتهم النفسية من دون صعوبة كبيرة. لكن الشيء الأكثر لفتًا للانتباه كان شيئًا آخر: في ذريتنا رأيت أنا و«آرتشي» نسخنا، طفولتنا، ثم صبانا وشبابنا. نظرنا إلى الأطفال وصرخنا، قلت لـ«آرتشي»: «انظري يا «آرتشي»! صعدا شجرة الحور! هل تذكرين؟ عندما كنت في السابعة من عمري، فعلت الشيء نفسه، وأنتِ، مثل الفتاتين، رميتِ كرة عليَّ! وبالفعل، فإن الولدين، كما لو كانا في الفريق، تسلقا شجرة الحور القديمة نفسها، وبدأت الفتاتان في رمي الكرات عليهما!». وقالت «آرتشي»: ««ديك» انظر! انحنت الفتاتان فوق البئر! أراهن أنهما أسقطتا الدلو! الآن سوف يتبعهما الولدان! وبالفعل نزل الولدان للحصول على الدلو...».

سألت:

- نزل كلا الولدين وراء الدلو نفسه؟

- نعم! نظرت أنا و«آرتشي» إليهم، إلى حياتهم، كانوا رائعين، يكررون وجودنا

مرتين مجددًا كما حدث قبل ثلاثين عامًا. إذا أتيحت للإنسان فرصة لاستعادة شبابه، فلن يكون ذلك إلا بهذه الطريقة!

- وكيف ميزتهم عن بعضهما بعضًا؟

- للولدين الاسم نفسه: «ديك»، والفتاتان: «آرتشي». لكن كان لكل طفل رقمه الخاص. كنا نخيطه على ظهره، كما يفعل الرياضيون. وسرعان ما بدأ الولدان في مغازلة الفتاتين.

- مثلما فعلت مع زوجتك؟

- نعم نعم! كانت هناك صعوبة في مكان اللقاء لأنهم كانوا يختارون المكان نفسه دائمًا. لكن بعد ذلك اعتادوا ذلك.

- ألم يخلطوا بين بعضهم بعضًا؟

- تخيل، لا.

- أثرت فضولي! ماذا حدث بعد ذلك؟

- في ماضينا عاشت «آرتشي» في المزرعة حتى بلغت الرابعة عشرة من عمرها، وعشت أنا حتى بلغت الثامنة عشرة، في هذه السن غادرت «آرتشي» مع والديها إلى نيويورك. لذلك حين وصلت الفتاتان إلى سن الرابعة عشرة، غادرتا مع «آرتشي» إلى نيويورك لتكرار مسار الحياة الذي سلكته «آرتشي» ذات يوم. لقد فعلتا ذلك من دون صعوبة، وبنجاح كبير، وبدأتا تشبهان «آرتشي» أكثر في شبابها. ثم عادتا إلى المزرعة عندما بلغ الولدان سن العشرين. لقد عاشوا في المزرعة لمدة ثلاث سنوات أخرى. وبعد ذلك وقعت الكارثة.

- ماذا؟

- زوجتي. «آرتشي»... شنقت نفسها! ولم يكن الرعب، حقيقةً، في الانتحار فقط. بل في سبب المأساة.

- لا داعي لتذكُّر هذا.

- بل ينبغي! الحقيقة هي أنه بينما كانت كلتا الفتاتين «آرتشي» تعيشان في نيويورك، تغيرت مشاعر الولدين «ديك» قليلًا تجاههما وبدأ الاثنان في الذهاب للمزرعة المجاورة لزيارة بنات السيد «سولب». كان لدى عائلة «سولب» دائمًا أسر كبيرة. في جيلي كان لديهم ثلاث بنات. والآن صار هناك ثلاث بنات أيضًا. وهكذا اعتاد الولدان زيارتهم.

- ولماذا زوجتك...

- في أحد الأيام، بعد وقت قصير من عودتها من نيويورك، تناولنا العشاء في منزل عائلة «سولب» وبقينا حتى وقت متأخر من المساء. كنت أتحدث مع أفراد عائلة «سولب»، خرجت «آرتشي» إلى مكان ما. ثم عادت فجأة راكضة إلى الغرفة وهي تبكي بعينين مجنونتين. وكلما سألتها عن سبب فزعها بكت أكثر. وفي الطريق إلى مزرعتنا، لم تسمح لي بإمساك يدها، أو حتى بلمسها. في نصف ساعة فقط أصبحنا غريبين تمامًا... فقط بعد انتحارها، خمنت، أو بالأحرى، فهمت ما حدث. بعد أن علمت أن الشابين كانا يزوران عائلة «سولب»، صعدت إلى الطابق العلوي وسمعت بالصدفة محادثة بين الشابين وبنات «سولب». أقسم الشابان على الولاء والحب لبنات «سولب» وأكدا أنهما إذا لم يتزوجوا، فإن الزواج الحتمي من الفتاتين «آرتشي» سيكون لعنة الحياة بأكملها لهما. قالا إنهما لا يحبان هاتين الباردتين الحمقاوين، وفقط احترامًا لكبار السن وافقا على الزواج منهما. واقترحا أن تهرب ابنتا «سولب» معهما على الفور.

-هل أثَّر ذلك على زوجتك؟

- بالطبع! أدركت على الفور أنني خنتها قبل زواجنا.

تمتمت بصوت عالٍ:

- هذا هو السبب!

- لقد كررا الشيء نفسه الذي فعلته ذات مرة. كان فظيعًا. أدركت «آرتشي» أنها خُدعت في الإيمان بحبي وفضيلتي. لقد شنقت نفسها على إحدى أشجار البلوط

التي تنمو بجانب الجدول. بعد ذلك غادرتُ المزرعة مع عائلتي بأكملها وانتقلتُ إلى هنا.

- أخبِرني، هل الفتاتان «آرتشي» على علم بما حدث؟

- بالطبع لا، كانتا نائمتين، مثل «آرتشي» في ذلك الوقت البعيد. لذلك انتقلت مع عائلتي بأكملها إلى نيويورك. دخل الشابان قسم «الأحياء» في الكلية، كما فعلت ذات مرة، وحصلت الفتاتان على وظائف عاملات في السنترال المركزي. لذلك عاشوا منفصلين، من دون تدخُّل مني تقريبًا، حتى التقوا ذات يوم في السينما. لقد كان لقاءً بهيجًا. وتجددت صداقتهم الرقيقة. من فضلك، كم الساعة؟ حسنًا، ما زال في متناولنا خمس عشرة دقيقة. بالمناسبة، التقوا في السينما نفسها، حيث التقيت ذات مرة بـ«آرتشي».

- رائع!

- لم أُفاجأ بأي شيء بعدها. كنت أعرف اللعبة بأكملها من البداية إلى النهاية. أعرف بالضبط اليوم والساعة التي سيتزوجون فيها. إذا لم تكن في عجلة من أمرك، فلنذهب إلى نادي «سبيري» للرقص.

- لماذا؟

- سوف تراهم هناك. سوف يرقصون هناك اليوم... كما ذهبت أنا و«آرتشي» أيضًا.

صرخت:

- يا إلهي! ماذا سيحدث بعد ذلك؟

- سنكتشف ذلك الآن. أنا أرتجف من الترقب... كل شيء، حتى أصغر التفاصيل، يجب أن تتكرر!

***

مشينا في زقاق مظلم تمامًا، وتحسس الرجل العجوز الطريق بعصا، ودعمته برفق بذراعي. الآن أصبحت نوافذ نادي «سبيري» للرقص واضحة، الموسيقى تخرج من

هناك. كان ناديًا من الدرجة الثانية بتذاكر دخول رخيصة. بعد ظلام المساء الخريفي، لم تعد عيناي تعتادان الضوء الساطع. زأرت موسيقى «الجاز». ثم توقفت الموسيقى، وفجأة هُرِع إلينا زوجان متطابقان.

- أبي! بابا «ديك»! كيف عرفت أننا هنا؟

صرخوا في الوقت نفسه، وبدا لي هذا الصراخ منسجمًا تمامًا.

أخرج «ديك» العجوز منديلًا ومسح عينيه. لم أعرف ما إذا كان يبكي أم أنه كان يعاني سيلانًا شديدًا في الأنف.

- خمنت أنكم هنا.

- رائع! رغم كل شيء، لم نخبرك بهذا!

- قلب الأب، كما تعلمون، فإنه يشعر دائمًا. اسمحوا لي بالدخول.

- نحن سعداء جدًا لرؤيتك. أنت حكيم وتستطيع حل نزاعنا.

انكمش رفيقي بشكل رهيب، كما لو كان على وشك أن يتعرض للضرب.

- أنا أسمع!

- تحدثنا عن حقيقة أنه من المستحيل خلق مجتمع متناغم من أشخاص مختلفين... ما رأيك في هذا؟

انكمش الرجل العجوز أكثر وقال:

- لنتحدث عن هذا في وقت آخر.

- لا، أخبِرنا رأيك. وإلا فإننا سوف نتجادل هكذا إلى ما لا نهاية.

- خلال شهر ونصف سوف تصلون إلى النتيجة بأنفسكم. حينها تعالوا إليّ.

- توصلنا إلى نتيجة مفادها: أنه إذا كان من المستحيل خلق مجتمع متجانس من أشخاص مختلفين، فيجب علينا المحاولة...

في تلك اللحظة بدأت الأوركسترا بالعزف مرة أخرى، وبدأ الشابان «ديك» والشابتان «آرتشي» في الرقص. بالقوة تقريبًا أخرجت الرجل العجوز من القاعة.

- اسمع! لا أستطيع أن أتخيل أن هاتين الفتاتين الجميلتين، اللتين ستصبحان قريبًا زوجتين للشابين «ديك»، سوف تتدليان عاجلًا أم آجلًا من أغصان شجرة البلوط التي تنمو في مزرعة «جرين بول».

قال «ديك» العجوز بصوت منهار:

- ماذا نستطيع أن نفعل؟

- يجب أن نخبرهم على الفور بالحادث الذي وقع عند عائلة «سولب»!

- هل تعتقد أنهم لم يُحذِّروا «آرتشي»؟ ولم تصدق كلمة واحدة. وعندما عرفت اسم أحد المتسللين، إذن...

- ماذا؟

- في شبابي كانت لي مغامرات عاطفية متعددة، ويبدو أنهما قد ورثا عني ذلك.

- تريد أن تقول...

- سوف يحدث مرة أخرى. لكن ليس قريبًا.

بدأ كل شيء يرتبك في رأسي.

سألت الرجل العجوز:

- ماذا تنوي أن تفعل الآن؟

- لا شيء. لم أعد قادرًا على فعل أي شيء الآن.

- إذن كل شيء سيحدث مرة أخرى؟

- جميعهم سوف يتوصلون إلى النتيجة نفسها مثلي أنا و«آرتشي». ثم يسرقون «الصيدلية».

- هل سيسرقون صيدلية؟

- للحصول على المواد الكيميائية اللازمة لتخليق الإنسان باتباع طريقة البروفيسور «فوركمان».

- هل حصلت على المواد بهذه الطريقة؟

- نعم، لقد اضطررت. وقبل ذلك فجرت ناقلة نفط.

- أنت مجنون!

- أجبرت على هذا! كنت بحاجة إلى المال لإجراء التجربة. لقد وعدت أحد رجال الأعمال أنني سأزرع آلة جهنمية في ناقلة نفط. لقد احتاج إليها في عملية احتيال.

بعد فترة كسرت الصمت الثقيل:

- لماذا سرقت الصيدلية إذن؟

- بعد انتهاء المهمة رفض الرجل الدفع وهددني بالسجن أيضًا.

- لا، إنه أمر لا يُصدَّق! هذا يجب أن يتوقف فورًا!

- لا مفر!

- أربعة من «آرتشي»! لن يكون لديك ما يكفي من أشجار البلوط في مزرعتك قريبًا...

- بحلول ذلك الوقت سوف يكبر الآخرون.

- سوف يدمرون جميع الصيدليات في البلاد. سوف يُغرِقون أسطول الناقلات بأكمله!

قال العجوز بصوت منخفض:

- لماذا توقفت عن الكلام؟

- تخيلت كيف سيجلس مائة عجوز في هذه الحديقة لينظروا إلى ألف من نسلهم.

لقد تخيلت أن مزرعة «جرين بول» قد تحولت إلى مصنع للبشر. ستُسمّى: «مزرعة

ستانليو». وسيُربّى الآلاف ومئات الآلاف من النسل هناك بشكل متطابق. سيكون من الضروري زراعة غابة كاملة من أشجار البلوط... هل يمكنك تخيُّل كل هذا؟

- لم أعد أعرف أي شيء.

مشينا بصمت حتى غادرنا الحديقة. بدا لي فجأة أنني كنت أسير مع مصير لا يرحم، مع كابوس يتجسد في شكل رجل عجوز قبيح، لا بد أن يتكرر حتمًا باستمرار.

أمسكت بيد الرجل العجوز.

- اسمع! هل تصدق حقًّا هذا الهراء حول استقرار المجتمع من خلال توحيد الناس؟

- إذا لم يكن الأمر كذلك، فما الفارق؟ وهذا لن يجدي الآن.

- بل يستطيع! نحن في حاجة إلى الشرطة، والعملاء السريين! وعليك أن تُحذِّر أطفالك.

- هل تريدني أن أثأر لنفسي من أطفالي؟ لا، كان هذا خطئي، كما تعلم خطئي أنا وحدي! كل هذا خطئي.

بدأ بالفعل في البكاء، بصوت أجش، كما يفعل العجائز، من دون حتى أن يغطي وجهه بيديه.

- توقف! تمالك نفسك! لديّ سؤال واحد لك. سؤال مهم جدًّا.

قال الرجل العجوز وهو لا يزال يبكي:

- أنا أعرف سؤالك.

- لا أعتقد أنك تعرف ماذا أريد أن أسألك عنه.

- أنا أعرف. وداعًا وداعًا...

سار بسرعة على طول حاجز الحديقة، وضرب بقوة عصاه الثقيلة على الأسفلت.

تجمدت في حيرة، وأنا أنظر إلى الشكل المنحني للرجل العجوز الرهيب، حتى اختفى في الظلام.

لم أسأل الرجل العجوز قَط عما إذا كان قد نقل سر البروفيسور «فوركمان» إلى ذريته. إذا لم يفعل، فسيكون كل شيء على ما يرام ولن يكون هناك أشخاص مُستنسَخون...ٔأليس كذلك؟ لا يهم. أنا على حق بعد كل شيء. مهما كان الأمر، فلا يمكن تطبيق قوانين الفيزياء والكيمياء على حياة البشر.

***

مرت عدة عقود على هذا اللقاء الغريب...

ثم بدأ يصادفني في طريقي أشخاص متشابهون جدًا، يرتدون الملابس نفسها ويتحدثون عن الشيء نفسه. الأمهات الشابات المتشابهات جدًا يُرضِعن أطفالًا متماثلين. الممثلِون والممثلات أنفسهم يظهرون إليّ عبر شاشات السينما بالشكل نفسه. تظهر الوجوه والأشكال المتطابقة تقريبًا على أغلفة المجلات والكتب.

ذات مرة مرت مجموعة من الجنود بجانبي، وكدت أصرخ؛ كان كل الجنود متماثلين! همست في رعب: «سرية ديك». وأدى حشد كامل من الفتيات المتطابقات، «آرتشي»، الأداء الموسيقي نفسه.

ولهذا السبب، ولأسباب أخرى عديدة، أعتقد في بعض الأحيان أن «مزرعة ستانلو» موجودة وتتطور، وربما تُقدّم لها حكومتي كل أشكال الدعم اللازم!

الكاتب

«أناتولي دنيبروف»: كاتب خيال علمي روسي ومُحرِّر علمي لعدد من المجلات المهتمة بالعلوم. درس الفيزياء في جامعة موسكو. شغلته بشكل كبير أفكار؛ مثل: نظرية التطور والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي وتأثير هذا الذكاء المُستحدَث على حياة البشر، والتطورات المحتملة للتكنولوجيا على المستقبل. إلى جانب كتابته الإبداعية عمل مُحرِّرًا علميًّا وعضوًا في هيئة التحرير في عدد من المجلات؛ مثل: «الباحث» و«عالمنا المعاصر» و«التكنولوجيا للشباب»، بجانب عمله التخصصي في «معهد المعادن» ثم رئيس قسم المعلومات في «معهد أبحاث روسيا».

المترجمة

آية حسن حسّان: حاصلة على بكالوريوس الآداب في قسم اللغة الروسية بجامعة «القاهرة». ترجمت عدة قصص من اللغة الروسية في عدة مجلات، مثل: مجلة «إبداع» و«عالَم الكتاب». لها مجموعتان قصصيتان من الأدب الروسي الحديث نُشِرتا بشكل إلكتروني؛ المجموعة الأولى باسم «الفتاة التي لا تعرف كيف تبكي»، والثانية بعنوان «الفتاة السيئة إيلي». صدر لها بشكل ورقي: «قصة عصابة السكة الحديد» وقصة «صيادو الأحياء» (الجزءان الأول والثاني من سلسلة «شارلوك هولمز في سيبيريا»)، ورواية «iphuck10» للكاتب المعاصر «فيكتور بيلفين»، ونوفيلا «لا حياة، لا موت»، ونوفيلا «الخبز الأبدي» للكاتب «ألكسندر بيليايف». صدر لها عن دار «منشورات ويلز» للكاتب «ألكسندر بيليايف» القصص التالية: «ذو الجسد المضيء»، و«عالَم لا يتحلل»، و«اتجِه غربًا». وللكاتب «أناتولي دنيبروف» القصص التالية: «مزرعة البشر» و«آلة التفكير الخادعة» و«عقل للإيجار».

